الجبهة الإسلامية للمقاومة العراقية

تُقدم رسالة

الموازين الجهادية

في كلام

محمد أحمد الراشد

وهي حشدٌ من النقول المستلة من كتب
إحياء فقه الدعوة
فيها تحليل لكثيرٍ من ظواهر العمل الجهادي
وبيان خلفياتها النفسية
مع ملاحظاتٍ نقدية وقواعد ومبادئ ومفاهيم
يجب أن يستحضرها المجاهد
عند التخطيط والأداء وتقويم الأمور
وجملة وصايا ومواعظ نافعة

بسم الله الرحمن الرحيم

يباح لكل أحد طبع هذه الرسالة
من أجل التوزيع المجاني
ونشرها في مواقع الإنترنيت

★

الطبعة الأولى
رجب 1429هـ
تموز (يوليو) 2008 م

★

الموقع الجديد للراشد على الإنترنيت
www.alrashed-online.com

راجعه .. فإنك تجد فيه النص الكامل لكتاب
"**بوارق العراق**"
وهو أضخم دراسة عن القضية العراقية من منظور إسلامي
في 544 صفحة

★

❑ ظاهرة التناقض وتقاطع النوايا والسلوك

• (ما للكلام الخفيف خُلِقنا ، ولكن للقول الثقيل ، وعلينا أن ندخل صراع الحياة الدائبة في حركتها ، ففي هدوء يخلق الله ما يشاء ، وهناك أرحامٌ تدفع ، وتنافس في صخب ، وركض وصراع ، واستفزاز طاقات ، وتفجرات ذكاء ، في لجاج عارم حينا ، وفي التفاف واندساس صامت حيناً آخر ، لتُحاز الأموال والعلوم والسلطات ومراكز النفوذ وذوات الجمال .

والموازنة قائمة بكل أشكالها ..

ففي المحراب مُخبت ساجد	⇔	وعلى دنان الخمر ثمالى
وفي الجهاد سيوف بوارق	⇔	وبمقابلها سياط ظلم سوداء
وصاحب زكاة ومتبرع رحيم	⇔	وبإزائهما المرابون
وعزيز يتغنى بحرية شعبه	⇔	وصفيق يصف ليلاه ولياليه

وواثق ومتردد ، وآمل ويائس ، ومستبشر ومتشائم ، وفرح وحزين ، وكريم وبخيل ، وهاجم ومنسحب ، وشجاع ورعديد ، وحليم وغضوب .

معاً في شارع واحد ، أو في سوق مائج ، أو سوية في خيمة على جناح كثيب بصحراء عربية ، أو في كوخ بغابة أفريقية قصية .

ونحن أصحاب المحراب والجهاد والزكاة والعزة والأمل والكرم والشجاعة والحلم ، وعلينا أن نثق بأنفسنا وأن نبادر إلى احتلال الصدارة في هذه الحياة ، بشعور الاستعلاء الإيماني .

إنه صراع الخير والشر أمامنا ، وكان من قبل ، ونخوضه اليوم ، وسيبقى حتى آخر الزمان .

الحياة المتحركة في دورانها الدائم وصخبها العارم جعلتنا من جنودها ... لا فكاك .

فدمدمَ بينهم صارخ : بقاء قليل !! ودنيا دُوَلْ !!

فعَرشٌ يَخِرُّ

وساعٍ يَقَرُّ

وساقٍ يَميل

ونجمٌ أَفَل !!

فالدنيا دول .. ولنا في تداولها سهم ونصيب .

والعروش تخر ، ونجوم الزور تأفل ، والمستقبل لهذا الدين ..) .

من كتاب أصول الإفتاء 1/ 32

❑ بعد كل خَدَرٍ إفاقة

● (ولستُ أقول بأن الخَلَف قعدوا عما كان عليه السَلَف من جهاد ، لأن تحليلي لمعالم (تطور الدعوة وتاريخ الجهاد) أوصلني إلى فهم ظاهرة تناوب الغفلة ثم الإفاقة والانتفاض والبلاء الحسن الذي يعقبه بطر وترف ربما يميل معهما الجيل إلى تفريط يتفاقم فتعود الانتباهة والحَميّة الجهادية ، في تعاقبٍ يُصلح الله به الشأنَ كلما انثلم) .

من كتاب النفس / 222

❑ جيل الهوية الجهادية

● فلما استوى الإصلاح وصار عالمي المدى : كان من قَدَر جيلنا الحاضر أن يكون هو جيل ما بعد اليقظة ... جيل الهوية الجهادية التي اكتسبها معطرة بوعيٍ حين توالت مسيرة شهداء القسّام ، مستندةً إلى الأصل القديم والبواكير القادحة التي سجلت الرفض الجهادي الدعوي الأول لتأسيس إسرائيل ، ثم التوغل في أرض العراق لما هبط بها جُند المارينز ، مع استحضارِ لومضةٍ في الأفغان أخمدها الجاهلون ..

● بمثل هذه الأحاسيس تحركت الحياة ، ورصد عبد المعطي الدالاتي لحظة الفصل :

(في لحظةٍ أحسستُ بالإيمان يُشرق من جديد فرنوتُ للأفق البعيد ..

للفجر .. للإنسان .. للإيمان .. للعيش الرغيد ..

فخلعتُ أثوابَ الدنيّهْ .. ورجعتُ أبحث عن هُويّهْ .. حتى وجدتُ البندقيّهْ) .

• **بَيْد أن نظرية حركة الحياة تذهب في فهم كيفية نمو ونضوج الصولات الجهادية مذهباً فيه سعة تصوّر ومجاراة لنمط تطور المعنى النفسي في دواخل الصدور من شرارةٍ إلى وجيبٍ إلى لهيب ، واللمعة العقلية من خاطرة إلى فكرة إلى منظومة تنظيرية ، فتأخذها مأخذاً " معرفياً " يتفجر من تحت ، من حيث الفن والأدب والرمز والخيال) .**

من كتاب النفس / 223

❑ نبْذُل ... ونصُدُّ الهجْمة

• (أما العنصر " الدعوي " **فانه لا يجزع ، بل يأمل ويرجو أن يصد الهجمة** ولو بدفع ثمن غال ..

• **أولاً : بالعمل المماثل ، والحرص على الجهاد والنفوذ السياسي** ، ليصلح ، ويدافع ، فيظل يدأب ويفتش عن " محركات الحياة " ليستعملها ، ويتخذ خطط تجميع وتنظيم وتطوير ومنافسة ، وتلزمها أعمال مؤسسية كثيرة ، ومؤتمرات ، وندوات ، ومطبوعات ، وإعلام ، وما كل ذلك سهل ، لكنه ليس بمستحيل ، ويمر بلبثٍ وراء قضبان ، ودماء ، **ويقوده أديب ومؤرخ وفقيه وسياسي وفنان** .

• **وثانياً : بانتظار القدر بعد تقديم تلك الأسباب انتظاراً ايجابياً ، فإنه حق ، والله يعاقب الدول والظلم الجماعي كمثل معاقبته الأفراد** ، وليس من شرط ذلك أن تنزل حجارة من السماء عليها ، **ولكن يضلهم فينتخبون المصلحي السارق ، والأحمق والطائش ، فيُردي قومه** ، وتتخبط سياسته ، فتكون الثغرات التي يلج منها الضعيف .

والمراقب لقصة احتلال العراق يجد شيئاً من ذلك ، ويعثر على مصداق الكلام، وكيف أن جهاد المستضعفين آذى أعتى قوة يقودها مغامر مأسور إلى أوهام معركة " الهرمجدون " .

• ويزداد الأمر تعقيداً عندما يختلط ظلم العولمة بظلم عميل محلي يتستر على نزيف يسببه الفساد الإداري) .

من رسالة همس النبضات / 18

❑ ضرورة النفرة الجهادية .. والأداء الحذر لا يعني الوسوسة

● (والكيّ آخر العلاج ...

وفي هذا الطّريق احتمال قتل ، وخوف ، لكنّه عظيم المنزلة .

ففي قوله تعالى : (وَيَقْتُلُونَ الّذِينَ يَأمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ) آل عمران :21 .

جاء ذكر قتل من يأمر بالقسط بعد ذكر قتل النّبيين ، وفي ذلك إيماءة واضحة إلى شرف المنزلة .

ونقل الرّازي عن الحسن البصري أنّه قال :

(هذه الآية تدلّ على أنّ القائم بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر عند الخوف : تلي منزلته في العِظَم منزلة الأنبياء) .

لذلك ينبغي الإقدام عليه بقلب شجاع ، ونظر إلى الآخرة .

نعم : الحساب واجب ، والتخطيط الموزون فرض ، والتهوّر مرفوض ، ولا بدّ من استيفاء المراحل وحسن الاستعداد وربط أوصال الأمّة إذا كانت مفكّكة قبل أيّ تفكير في اللّجوء إلى مفاصلة ، ولكن مع ملاحظة أنّ كثرة الحذر ، والإسراف في الاحتياط وإيثار السّلامة : أمور تظلّ تؤثر في صاحبها حتى تقبل نفسه التدجين ، ويصبح إلى الجفلة أقرب.

وكان قد جرّب ذلك عربي تمادى في السّلام حتى نسي الشّجاعة ، فقال يصف نفسه :

أصبحتُ لا أحملُ السّلاحَ ولا
أملكُ رأس البعير إن نَفَرَا
والذئبَ أخشاهُ إن مررتُ به
وحدي، وأخشى الرّياح والمطرَا

فخوف الذئب له تأويل ، لكنّه صريع الهواجس والوساوس والحسابات المسرفة والظنون والتوهّمات ، يخاف صفير الرّيح ، وربّما حفيف الشّجر ، جرّاء استرساله في الدّعة ، وهذه الحالة من عجائب النفوس ، رصدها المراقبون ، ومن يحلّل التاريخ وقصص الأيّام المتداولة بين النّاس يكتشف أنّ لبعض الهزائم أوليات من حديث سبقها دبّ إلى قلوب واجفة بالغت في تدقيق حساب الخسارة ، ورأت الجانب المظلم

من مستقبلها ، ولم تنتبه لوجه مشرق ستره الظّلام ، فاضمحلّ الطّموح في تلك النفوس ، ولم تنهض بها تلك العزائم ، وإذا كان المتهيّب أباً أو مقدّم قافلة سرى شعوره إلى أولاده أو رفقته ، وتركوا اللّذة يفوز بها الجسور .

وليست هذه دعاية للمجازفة ، ولكن هو التّدرّج وحساب المصالح يجيز الإقدام .

وبالنّسبة لي فإنّي لا أظنّ أنّ أحداً من الدّعاة أحرص منّي على الوقوف ضدّ التهوّر ، واللّهج بوجوب الموازنات ، والأخذ على يد المغامرين الّذين يجنحون إلى الاستعجال ويسمحون لأنفسهم بتوريط الدّعوة في المآزق ، وبحمد اللّه كنتُ على طول الخطّ مع التخطيط والعقل والتأني ، في بلدي ثمّ حيثـما حللتُ أثناء هجرتي ، ووقفتُ ضد الارتجال ، وكشفتُ الخلل والخطأ في النّظرات التبسيطيّة الّتي أُولع بها البعض ، وبيّنتُ سلبيّة الاستهانة بالخصم ، علّمني ذلك خالد بن الوليد ﷺ الّذي كان مع شجاعته وعبقريته العسكريّة لا يستهين بالعدوّ ويفترض فيه الشّجاعة والتمكين والقوّة ، بل هذا جزء من أسباب نجاح خالد وانتصاراته وبعض مفاد عبقريته الفذّة ، ولكنّي مع كلّ ذلك أفرّق بين الوعي والرّوح الانسحابيّة ، وبين استعلاء الدّعوة وإبطاء الدَّعَة ، ولا أرى في إخماد الرّوح الجهاديّة صواباً ، ولا لتفويت الفرص وجهاً ، وإنّما أنا أفهم أنّ الانتظار الإيجابي واجب ، وأنّ رصد الحياة السّياسيّة لاكتشاف الثغرة لازم) .

من كتاب أصول الإفتاء 4/ 133

- (ففي تفسير قوله تعالى :

(﴿ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ آل عمران :21 ، قال القاضي ابن العربي:

(قال بعض علمائنا : هذه الآية دليل على الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ، وإن أدّى إلى قتل الآمر به) .

لكن ذلك مشروط بزوال المنكر الّذي قام من أجله .

ورجّح ابن العربي الاقتحام في كلّ الأحوال ، قال :

(فإن خاف على نفسه من تغييره : الضّربَ أو القتلَ ، فإن رجا زواله : جاز عند أكثر العلماء الاقتحام عند هذا الغَرَر ، وإن لم يرجُ زوالَه : فأيّ فائدة فيه ؟

والّذي عندي : أنّ النّية إذا خلصَت فليقتحم كيفما كان ولا يُبالي) .

قال :

(فإن قيل : فهل يستوي في ذلك المنكر الّذي يتعلق به حقّ اللّه مع الّذي يتعلق به حقّ الآدمي ؟

قلنا : لم نر لعلمائنا في ذلك نصًّا ، وعندي أنّ تخليص حقّ الآدمي أوجب من تخليص حقّ اللّه تعالى) .

وهذه الكلمات الأخيرة من ابن العربي مهمّة لنا في فقه الدّعوة ، لأنّنا كدعوة قد نصّبنا أنفسنا للدّفاع عن حقوق الأمّة ومصالح النّاس ، وانتدبنا أنفسنا لتخليص المظلوم ممّا لحق به ، وليس لنا اقتصار على الوعظ بحقوق اللّه تعالى .

وابن العربي يدعونا هنا إلى أن نفهم أنّ توكّلنا عن النّاس أوجب من تذكير بصلاة وزجر عن حرام ، وهذا ملحظ جيّد علينا أن نُذعن للمنطق الّذي فيه ، إذ أنّ قيادتنا للنّاس لا تتمحض لنا مجاناً بلا ثمن ، وإنّما يقود الناس من يتحمّلُ هموم ضُعفائهم ويثأر لعاجزهم ويسعى في ردّ الحقّ السّليب ، والمفتي في فقه الدّعوة عليه أن يتفطّن لهذه المروءة الجماعيّة الواجبة، ولا يجنح دائماً إلى الانسحابيات والإعفاء والأنماط النّسوانيّة ، ويصحّ عندي تجنيب الدّعاة الضّرر ورفع التكليف بالانتصار للنّاس عنهم في المرحلة الدّعويّة الأولى التأسيسيّة ، لأنّها مرحلة تقتضي ترسيخ القدم بهدوء ، وأمّا في المراحل المتقدّمة فنحن أولى بالمحاماة عن المستضعفين ، وذلك هو طريق القيادة ، وقصص حركة الحياة تشير إلى ذلك) .

من كتاب أصول الإفتاء 4/ 122

• **(وكان الحرص على تزويد الدعاة بفقه تحليلي وافٍ ينقلهم إلى تمييز طريق المعالي والنقاء** ، وهو الطريق المستقيم الذي يتوازى مع الصراط الشرعي وينقذ السائرين فيه من أزقة ضيقة بجانبه ودروب غير نافذة .

• **ومن الناس مَن هم الأهل لكل مكرمة** ، وتكافئ أقدارهم منازل العز ، ولا تصلح الأبُهة إلاّ لهم ، ولا يصلحون إلا لتمثيل العلو ، فيقول الشاعر في تعريفهم أنْ :

انظر فحيثُ ترى السيوفَ لوامَعاً   أبداً فـفوق رؤوسهـم تتألقُ

وهذا من قوانين الحياة ، كمثل معادلة :

★ **فما يأتي الجميلَ : سوى الجميلِ** ★

فللجميل أهل اختصوا به ، وكذلك الجهاد والاستعلاء والرئاسة والصدارة ، **وليست تتألق الصوارم إلا بأيدي الصارمينا** .

● والملاحظ في الحركة الحيوية أن نزعة الاستعلاء والشمم والتعفف عن الدنايا : هي نزعة قابلة للتوارث ، ولذلك تختص بها بعض العوائل والقبائل ، **ويكون حَفَدة الرفيع السامي في شوق دوماً إلى الموضع الفوقي** ، ولا يعطون الدنية في دينهم أو عِرضهم ، أو حتى في مالهم ، وهي نزعة عند بعض الخلائق ، وفي القديم لاحظ ابن مُقبل أنه كلما قصد وعْلاً وحشياً لصيده : يجده :

★ **على تُراث أبيه يَتْبَع القُذَفا** ★

أي المواضع العالية من الجبال ..

وكذا يطير الصقر والطير الحُرّ في المستوى العالي) .

من كتاب النفس / 5

● **(إن الجهاد والحديد بالأيدي المتوضئة هو الصحيح ، الجهاد اليوم هو عنوان المرحلة القادمة من عمر الدعوة الإسلامية ، وُصفت الدعوة في بعض مراحلها بأنها في مرحلة التأسيس ، ثم وصفت بأنها في مرحلة الانتشار ، ثم وصفت أنها في مرحلة الصحوة ، ثم وصفت أنها في مرحلة التخصص والبناء المؤسسي ، اليوم تدخل الدعوة طوراً جديداً بهذا العدوان الأميركي الذي لن يقتصر على العراق بل سينتشر إلى بلدان كثيرة ، تسلك الدعوة في مرحلة جديدة هي المرحلة الجهادية ،** علينا أن ندرب أنفسنا عليها ، علينا أن نعي هذا الواجب الثقيل الذي وضعتنا الأيام فيه ، وأن الحديد الذي فيه بأس شديد وأنزله الله إلى الأرض من دون الكواكب السيارة إنما أنزل لمثل هذا اليوم كما أنزل إلى داود عليه السلام ، وفي أيادي محمد ﷺ والصحابة رضي الله عنهم ، **هذا يوم جديد في حياة الأمة ينبغي أن نبدأه ، ولكن بالأيدي المتوضئة لا بالأيدي التي فيها تلوث أو سبق لها أن كبّلت مؤمناً عاشقاً للحرية)** .

من كتاب بوارق العراق / 55

❑ ضرورة التربية الجهادية

● (**الجهاد لا يؤدى بدون تربية** ، ليست التربية الجهادية التي يقولها فقط في الإذاعة أو يسمعها أيام المعركة ، ينبغي أن تكون نافذة حتى لصغيرنا ، حتى في كيفية صيحاته وألعابه ، تربية عميقة كان قد انتبه لها لسان الدين بن الخطيب – الفقيه الأندلسي الوزير المعروف – ، فله بيتان يمدح فيهما العرب ، وليس في هذا أمر قومي ولكن يمدحهم بأنهم حملة الإسلام وكيف علموا الجهاد لغيرهم ، يقول :

جيـران بيـت الله والعـربُ الأُلى أضحـوا على قنن النجوم قعودا

مراكبهم عالية مع النجوم السوامي ، ساروا نحو المعالي فبلغوها ، كيف ؟

تخذوا السيوف تمائماً لوليدهم والحرب ضئراً والسروج مهودا

يعني أرضعوهم الحرب إرضاعاً ، وكما يكون للطفل مهد تهزه له أمه فإن السرجَ يكون مهداً ، هذا وصف رائع وجميل ولكن فيه ضريبة علينا كبيرة ، **إذ كيف وصل العرب الأوائل أولئك إلى المعاني الانتصارية إلى الجهاد** وسيادة الدنيا كما قال : وصلوا إلى مراتب النجوم ؟ بمثل هذا ، **السيف يكون تمائم لوليدهم ، والحرب هي التي ترضعهم وتداريهم ، ماذا يعني في يومنا هذا ؟ يعني حصول انقلابٍ في طريقة الحياة ، ليست هي الميوعة ، ليست هي الخدر ، ليست هي الأغاني** ، ولا الفديو كليب ولا الأشياء التي يقولونها اليوم والتي فيها الطريقة المجونية والتي تتعمد الإذاعات والفضائيات والمجلات أن تكون في الساحة دون غيرها لكي تحرف طبيعة التربية ، وكان أجدادنا على تلك التربية التي سمعناها ، يتخذون السيوف تمائم لوليدهم ، ويحاربون ويجاهدون ، و(نصرت بالرعب من مسيرة شهرٍ) .. لذلك قد يظن البعض – وأنا قد رأيت هذا عند بعض الواهمين من أقارب الدعاة أو من الدعاة الجدد – يقول أنه في مثل هذه الأيام إنما القول قول السياسة والوعي السياسي ، ومن عرف ذلك ولاك لسانه بالسياسة هو الذي يعرف طريق الانتصار ، كلا .. أنا أقول أن الأمر أكبر حتى في تلك القضية التي يقولها أهل المواعظ التي تسمعها وملّ البعض من سماعها ، لا توجد معركة بدون تربية جهادية منذ نعومة أظفار أبنائنا .. ثم ندعو الكبير الذي فاته الأمر إلى التوبة ، وما أقرب التوبة

من العبد ، والله يزين التوبة مرة بعد مرة في كتابه العزيز ، وهناك قصص التائبين ، لذلك لا نزهد بمثل هذه المواعظ ، ولا نزهد بقول أحد ينهى عن مثل هذه الميوعة وأمثالها ، بل هي جزء من خطتنا الاستدراكية ، وجزء من الفكر الإسلامي الصحيح الأصولي .. **لأن البعض أصبح تغريه عوالم السياسة وما فيها ، يفهم أن الإسلام سياسة فقط ، حتى في المسألة الجهادية يغفل عن هذه الأوليات والبدايات ، فهذا من تمام الفكر ، فلهذا قلت أن الفكر هو سيد الموقف**) .

من كتاب بوارق العراق / 52

❑ ضرورة تطوير المجاهد

) ❑ تأليف الإنسان المؤمن الطارف العصري

وهذه تكوينات قَدَرية للناس ، وهندسة أنشأت نفوساً على هذه الصفات ، ولكن الذي يريد " تحريك الحياة عبر التربية " لا يجب عليه الإذعان للأمر الواقع ، بأن ينوي تعاملاً دائماً مع صفاتهم هذه ويستسلم لما هُم عليه ، بل له أن يتأمل ، ويفحص ، فيرفض الصور التي عليها بعضهم ، ويقترح على نفسه إعادة صياغتهم ، وإجراء ترميمات ومُناقلات واستدراكات ، ليخرجهم في " تصميم " جديد يناسب حاجة الأمة ومخططات رجال التحريك ، وذلك فرع من القاعدة الاستراتيجية الكبرى في تحريك الحياة : قاعدة دفع قَدَر السوء بقَدَر الخير .

وهذه هي الصنعة الدعوية التي ينبني عليها الأمل بالتغيير وفتح أبواب المستقبل ، وما هي من العلم الحديث ، وإنما جذرها قديم ، وهي مجرد مُفردة من مفردات إحياء فقه الدعوة ، نكتشفه عبر التنقيب ، فنذيعه ونبعثه .

وكان مخزوناً في بيت شعر لا أعرف قائله ، إنما أعرف ما فيه من وضوح خطة التشكيل ، وعمق الإبداع ، ونوايا التطوير .

ونصه الرائع يريك :

وصْلاً وفَصلاً ، وتجميعاً ومُفْتَرَقاً
فَتقاً ورتقاً ، وتأليفاً لإنسانِ

فها هنا خُطة جريئة فيها :

إعادة هيكلة .. وتجديد بناء .. وتبديل أجزاء .. وتغيير ترتيب .. ونقضٌ وإبرام .. مع هندسة تعيد المقاسات .. وتركيب مَفاصل ومَحاور تتيح المرونة .. وكسر يعقبه جبر وتقوية لحام ..

من أجل أن " يتألف إنسان طارف " بمواصفات مستأنفة .. يتلاءم مع الحاجة والواجب .. والظرف والبيئة والمعطيات .

○ وهذه مهمة تربوية وتدريبية ، تعتمد الفكرة والعقل والعاطفة ، من أجل إنتاج عناصر مؤهلة لتنفيذ المشروع الحضاري الإسلامي وما يستلزمه من تخصصات ومعرفيات وعلوم ، ومهارات قيادية ومشاعر نفسية تحدو إلى التحدي والاستعلاء .

○ **إنّ " تأليف الإنسان " هو الشعار الذي يرفعه فقه الدعوة لتمكين " الصفوة القيادية " من تحريك الحياة ، وهو مدار التطوير ومحور البداية ومِفصل التوسط وعلامة النجاح والوصول إلى نهاية .**

○ ثم إنّ " تأليف الإنسان " هو الاصطلاح العربي المحض الأصيل الذي سجّلَ السبق على لغة علم التنمية المعاصر العالمي ، وهو أدلّ وأوفر في الإدلاء بالمعاني من قولهم اليوم إن الإنسان أثمن استثمار في خطة التنمية) .

من رسالة منظومات التحريك / 5

❑ شرط موالاة الجهاد والبراء من الكفرة

● **(ومن لوازم ميزان البراء من الكافر : ميزان (الولاء للمؤمنين) .**

فإن الدين لا يقبل الحياد ، ولا الجلوس على التل متفرجا ، إنما يوالي المسلم إخوانه المسلمين ، ويشاركهم في الضراء كما يشاركهم في السراء .

ومن شواهده : قول الله تعالى : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۞ وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) المائدة : 55- 56 .

ومنطق التزهيد في موالاة الكافر واضح لمن يريد أن يجعل القضية قضية حسابية

مصلحية قياسية ، إذ يقول الله تعالى :

﴿ بَلِ اللّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾ آل عمران: 150.

أي أنكم إن أردتم أن ينصركم الكافر فهي صفقة خاسرة ، لأن الله يمدكم بنصر أكبر من نصر الكافر ، وليس شرطاً أن يكون هذا المدد في صورة غيبية ونجدة ملائكية حتى يشك ضعيف الإيمان بها ويستبعدها ، بل في صورة هداية قوم من المسلمين يوالونكم وينصرونكم ، وهذا مشاهد في التاريخ الإسلامي : أنه ما تعفف مسلم ورفض التبعية وسلك طريق العزة والعلياء والشمم ورضي بالطريق الأصعب واستقل وجاهد : إلاّ وهام بمسلكه الأحرار ، فيتحلقون حوله ، ويهاجرون إليه ، ويرتضون أن يكونوا جنوداً له ، ويرخصون أرواحهم ، فيوقن من يفهم جريان الأقدار وحركة الحياة وأسرارها أن الله هو الذي هدى قلوبهم وساقهم إليه ، وأن الله يترجم نصرته الخفية في صورة أشخاص مشخصين تعرفهم ، وليس في صورة الملائك فقط .

وفي الدعاء : ﴿ وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً ﴾ النساء : 75 .

وهذا مثل ذاك أيضاً ، فإن تصور الولاية الربانية والنصرة الإلهية لن يكون إلا بأن يقذف الله في قلوب بعض عباده حناناً عليك ، وتصديقاً لك ، وقناعة بخطتك الاستعلائية التحررية ، فيهديهم لمعونتك وولايتك ونصرتك .

وقلبُ المتوكل حيٌّ يدرك ذلك .

وقلبُ المهزوم عن هذه الأحاسيس بعيد .

بل هو يدرك جرائمه وما اقترف ، ويعلم أن الله خاذله ، فيتعلق بالقشّة ، عَلّها تنقذه من الطوفان ، وحساباته هي حسابات الحاسبة ، فيضرب ويجمع ويطرح ، فيرى أنه يكسب عشرين سنة بين الاستعانة وسيل العَرِم ، فيستكثرها ، فيضيف ظلام الولاء للكافر إلى ظلامه الأول وظلمه ، ونحن حساباتنا حسابات الخلود الأخروية ، والولاء لعُبّاد ربّ الخلود ، فما قيمة حفنة سنوات إلى هذا الخلود ؟

لذلك نفتأ نوالي ركب الخالدين .

بل الموازين القرآنية تذهب إلى أبعد من حرمة موالاة الكافر ، فتنكر موالاة الظالم والركون إليه ، وذلك في قوله تعالى :

﴿ وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ هود : 113 .

ويحتمل أن المراد بذلك الركون إلى الذين كفروا ، وقد سمى الله تعالى الشرك بالظلم العظيم ، لكن من المحتمل أن مراد الآية هو العموم الظاهر ، وأن المراد هو المسلم الظالم أيضا .

فواجب المسلم أن يتفقد عرق الحساسية فيه ، ألا يكون قد أصابه شلل ، فيداويه، ويتفقد قلبه ، ألا يكون قد علاه الران ، فيغسله ، ليتم له العفاف ، ويتنزه عن إثم الولاء لكافر وظالم ، وإثم القعود عن نصرة مسلم ، **وعلى مفتي الدعوة أن يلحظ النتائج البعيدة المدى للولاء والبراء ، ولا يغتر بنتائج سريعة تهزّه ، كما هزّت الخفاف ، فانطلى عليهم أمر الجلاف)** .

من كتاب أصول الإفتاء 1/ 394

❑ شرط أن يكون الجهاد واعياً محكوماً بخطة

● (قال العز : (إذا اجتمعت المفاسد المحضة ، فإن أمكن درؤها : درأنا ، وإن تعذر درء الجميع : درأنا الأفسد فالأفسد ، والأرذل فالأرذل .

فإن تساوت فقد يتوقف وقد يتخير ، وقد يختلف في التساوي والتفاوت .. لا فرق في ذلك بين مفاسد المحرمات والمكروهات) .

ومن القواعد التي رصدها السيوطي أنه (إذا تعارض مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما) .

وبين العز والسيوطي وقبلهما وبعدهما ، فقهاء كثير عددهم يصرحون بمثل ذلك، ولذلك فإن هذه القاعدة في تعارض المفاسد قد أوردتها مجلة الأحكام العدلية العثمانية في المادة 28 منها ، ولفظها :

(إذا تعارض مفسدتان : روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما) .

وجاءت المادة 29 بتأكيد لهذا المعنى ، ونصها : (يُختار أهون الشرين) .

والتطبيق الدعوي والسياسي لهذه القاعدة جاء مبكراً جداً ، فمن أخبار الحسن البصري ما أخرجه الآجري بسنده عنه أنه قيل له :

(يا أبا سعيد : خرج خارجي بالخُريبة – محلة عند البصرة – فقال :

المسكين رأى منكراً فأنكره ، فوقع فيما هو أنكر منه) .

وما درى أبو سعيد إذ هو ينام سعيداً في قبره كم من مساكين هذا اليوم في خُريبات الجزائر والصعيد ، نحلف عنهم أيماناً مغلّظة أنهم يُنكرون منكراً سياسياً ، وأنهم أصحاب قضية صادقة ، وأن حقوقهم الثابتة قد سلبت ، وحصل عليهم العدوان ، لكنهم لم يُدركوا أن أعمالهم قد ولدت منكراً أكبر ، وفوتت مصالح أعظم ، ولو تأملوا بعين الفقه النقدي وعلى قواعد الموازنات لعلموا أن الاستدراك الإسلامي أبعد من أن تأتي به انتقامات وشتات طلقات ، إنما تتكفل به خطة عريضة ذات مدى زمني طويل فيها تكامل نوعي سياسي وتنظيمي وإعلامي واجتماعي ، مع مشروع حضاري شامل وأنماط معرفية تعتمد الأدب والفن ، لنواجه بكل ذلك وجوه الجاهلية في الحياة المعاصرة ، ونظل نبني بصبر طويل بناء الإيمان لبنة بعد لبنة ، ونرفأ ونرمّم الجزيئة بعد الجزيئة مما أصابه الانحراف عن الإسلام في مجتمعنا المسلم ، ونطالب بالحريات ، فنقول مقالتنا ونفعل فعلتنا عن اقتدار في الجو الحر ، فيرجحنا ثقلنا النوعي والكمي معا) .

من كتاب أصول الإفتاء 1/ 283

• (**أصحاب الأشواق الجهادية النارية** ، الذين لا يعترفون باستعداد وتمهيد وتدرج واختيار ظرف فيه مواتاة ، وكلنا نؤمن بالجهاد ونحب الشهادة ، وهتاف دعوتنا العتيد أن " الجهاد سبيلنا " ، ولكن نؤديه ضمن الشمول ، ونمارسه ضمن التخطيط البعيد المدى والاستعداد ، والتجربة الأخيرة بعد حادثة أبراج نيويورك وما تلاها من حرب الأفغان الثانية وتصاعد ردود فعل جهادية : هذه التجربة كشفت عن أن الحماسة تغلب أحياناً ما ينبغي أن يكون من موازنات عقلانية ومفادات فكرية وتخطيطية ، إذ سرت في أوساط إسلامية كثيرة مشاعر الانتقام من الظلم الأميركي ، وأُهدرت خلال اختلاط الصيحات أشياء كثيرة من النظر الفقهي الصحيح ، والرؤى المصلحية ، وتم طرح تصورات ساذجة لمعنى الجهاد ، ونـُسيت في غمرة ردود الأفعال أسئلة :

كيف يكون الجهاد ؟ ومتى يكون ؟ وأين يكون ؟ وممن يكون ؟ وتجاه من يكون ؟

والأمر الدعوي غير ذلك ، ومن أول معاني العمل الجماعي الدعوي الواعي :

أن نكون فوق ردود الفعل ، وأن ندرس بروِيّة أحوال السياسة العالمية ، وواقع الأُمة الإسلامية ، ونضع رؤية شمولية لها أهداف بعيدة ومرحلية ، وتكون التربية ركناً أساسياً في ذلك ، ثم نثبت على الُخطة الناتجة من هذه الرؤية الشمولية ، من دون أن تستفزنا طوارئ وأحداث تقحم نفسها .

والذي حدث من ميل بعض الجمهور الإسلامي إلى استحسان نداء الجهاد غير المدروس ولا المستعَد له يفرض على الدعاة أن يلجأوا مع أنصار الدعوة إلى (تمحيض المدرسة) الذي قلناه آنفا ، وأن يكونوا صرحاء في تفهيم معنى الجهاد **وبيان أن الأشواق العاطفية الجهادية هي أمر غير الجهاد الواعي المحكوم بخطة ومقدرة والذي تلزمه قيادة ماهرة وجندية متربية** ، والمواقف الدعوية لا تحددها هتافات المتظاهرين الغاضبين ، وإنما تمليها أحكام الشرع ودلائل التجارب ومنهجية فهم الواقع واستشراف المستقبل ، وإذا كان أصحاب العواطف هم الأكثر ، والدعاة أصحاب الوعي التخطيطي هم الأقل : فهذه ظاهرة قديمة ما هي بجديدة ، وتدل على مصيبة دائمة ، نصبر لها ، ولا نطيش ، **ونأبى متابعة رجل الشارع ، ونبرأ ممن يُفجّر الأبنية ويسمي نفسه مجاهدا ، إذ ليس غير مجازف ، وإنما نتبع العلم والتحليل والمقارنة ، ونتقدم بحكمة وعلى بصيرة ، مهما استعجل العاطفيون ، واتهمَنا بالقعود المغامرون .**

ومحن الدعوة متنوعة ، منها : أن يكذبنا ملحد أو ظالم فاسق ، ومنها : أن لا يرتضي سيرتنا الموزونة المؤمنون المتهورون ، فيتهمونا بالقعود والتخلف عن الجهاد وتكون (مشاكسة إيمانية) يحركها الشيطان في غفلة من نفوس عاشقي الجهاد حين تستولي العاطفة ولا تدع للعقل والتروي والإنصاف مجالاً ، وفي القديم خرج الخوارج وهم أوفر الناس صلاة وقتلوا أمير المؤمنين تقرباً – بزعمهم – إلى الله) .

من كتاب منهجية التربية / 179

● (ولكنَّ تصورنا للاستدراك الناجح الذي يلجُ من باب العاطفة **إنما يكون من جماعةٍ منظمةٍ ذات منهجية وقيادة وجندية وخبرة تخصصية وتجريب ناجح وإسناد عالمي يظاهرها ويمدها بالرأي والفكر والاجتهاد والبلاغ الإعلامي ، فتنتقل بالنخبة المستجيبة من أبناء الشعب عبر الفورة العاطفية والتحليقات الرمزية والمحركات الروحية والأشواق**

الإيمانية إلى أداء عقلاني منهجي ، وهذا الوصف النموذجي هو الذي جعل نخبة الدعاة القدماء في العراق يرشحون أنفسهم لقيادة الشعب الأبي بعدما نجحوا في إرساء البنية الأساسية لعملٍ دعوي نموذجي صاروا به أكثف الجماعات السياسية في العراق تأثيراً ، وأوسعها انتشاراً ، وأطولها تجربة ، وأثراها في الاستمداد من النُصرة العالمية ، وهم يمدون أياديهم التي ظلت عفيفة طيلة عهد الظلم إلى كل جماعة مخلصةٍ ، وعالمٍ شرعي ، ومفكرٍ إسلامي ، وشيخ عشيرةٍ ، وذي مالٍ أنعم الله عليهِ ، من أجل تكوين حلف عريض يجهر بأنَّ الإسلام هو الحل ، وأنَّ الجهاد هو الطريق .

وإنما نعني ظاهر هذا الذي نقول وباطنهُ المختفي الذي ينبغي استنباطه وعرضهُ على من لم يحط بالمراد كُله ، فإنَّ من لا تجربة له عميقة مكافئة لتعقد الظرف والقضية العراقية يتمنى دوراً لأهل السنة عبر قيادةٍ علمية ، ويدعو إلى مرجعية سُنيةٍ عليا ، **وهذا النمط يحصرنا في أداءٍ قيادي فردي لا نؤيده ، بل الصوابُ أن تتوغل في الاستدراك عبر عطاء عمل تنظيمي واسع وقيادة جماعيةٍ تتكامل علومها وخبراتها وتخصصاتها وتجاربها ، مسنودة بمشروع إسلامي عريض ، حضاري المدى ، مدني الطريقة ، علمي الأسلوب ، حر الاجتهاد ، شوروي النمط** ، فإنه إذا وجد مثل هذا العمل الحركي الشمولي فان ما سنجنيه من تأييد الناس إذا توفرت الحرية هو أهم وأوسع من منح نجنيها من أداء الوزارات وجهاز الحكم ، ومن عطايا يتصدق بها المحتل ، إذا سالمناه وهادناه ورضينا به وصياً علينا وسيداً ومربيا .

إن تاريخ الثورات ، وقصص التحرر ، وتجارب الجهاد : كلها تؤكد **أن الغلبة في الآخر إنما هي للباذل** وان احتكر الحق محتكر لوقتٍ وقَتَل وسجن واعدم واستبد وانتهك الأعراض والحرمات ، وتزداد دلالة هذه الحقيقة حين نكتشف أنّ رفضنا العراقي يتزامن مع تصاعد الوتيرة الإسلامية ضد أميركا ، بل وغير الإسلامية من أحرار العالم وفي أوربا بخاصة ، ومع جهاد فلسطين وإصرار أهلها على مواصلة البذل بعد أن أهدر " **بوش** " حق العودة واعترف بالمستوطنات .

وكانت المقاومة العراقية الباسلة قد أبلت بلاءاً حسناً وما تزال ، وهي التي رفعت رأس العراقي وأجبرت أميركا أن تبدل خططها وتفكر بالانسحاب ، وهذه الحقيقة

راسخة في عمق وعي دعاة الإسلام في العراق ، لكن مذاهب الوعي الدعوي تفيد **بأنَّ الجهاد يكون واعياً وغير واع في** نفس الوقت ، والدعاة إنما ينكرون طريقة السيارات المفخخة والقتل العشوائي للشرطة وتدمير دواوين الحكومة ، لما يظنونه من اختلاط أمرها بغايات إقليمية وامتداد أيادٍ غريبة غير عراقية خلطت الأمور وأوجدت تشابكاً ، وليس كل من يـقاتل يحتكم إلى علم ووعي ويستند إلى خلق قويم ، بل هناك الحدَث الذي لم تنضجه حكمة الرجال ، وهناك الذي يسرف في الدماء ويقتل بعض المساكين بحجة التجسس من غير روية ولا إقامة دليل قاطع ، ثم هناك من يجعل ساحته الأماكن المزدحمة بالمدنيين ، فتذهب هدراً أرواح بريئة كثيرة ، وليست تخلو الجمهرة من نفعي ومزايد ودعي يفاخر ويريد العنتريات التي ليس لها نكاية بمستعمر ولكن نكايتها تكون بمجاهد ينافسه أو ببعض الأهالي ، ومثل هذه الخروقات لأخلاقيات الجهاد وموازينه وقواعده هي التي ينكرها دعاة الإسلام ، فيظن المستعجل أن الدعاة ينتقدون عموم الجهاد ، والمستعجل يقذف بالكلام على رسله ويتمنى ويتهم ، وما ثم عند الدعاة غير تأول وحرص على رفع الحرج عن الناس وقول في التمييز بين جهاد له أهداف ووضوح ومنهجية والتزام وإرث تجريبي وتنفيذ مصلحي ومرونة لا تأبى تبدل (**التكتيك**) وتقبل التغيرات التعبوية ، وتخلط كل ذلك بتواضع وتجرد وشكر لله وتودد للناس ، وبين جهاد آخر تزاحم به قـلة فوضوية ترتيبات الأكثرية ، فتلجأ إلى التعالي على النـاس ، ويكون ديدنها الإسراع إلى قتل الرهائن ، واستعمال السلاح في غير موضعه ، وهذا التمييز بين النوعين حقُ ثابت لكل مخلص من أبناء الشعب .

وليست العصمة من الخطأ مكفولة لكل من حمل البندقية ، بل منطق الواقع يشير إلى احتمال أن يختلط بالدعاة من هو مجازف ولا تردعه التقوى عن ظلم مخلص يعظه بالتروي) .

❑ صفة القيادة الجهادية الجماعية

● (وقد أدرك النووي معنى هذه القيادة الجماعية ، فقرره كصفة في الطائفة الظاهرة على الحق وإن لم ينطق بنفس اصطلاحنا .

فحديث " لا تزال طائفة من أُمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون " يثير سؤالاً مهماً : منْ هم وما صفتهم ؟

فقيل في الجواب : هم أهل الحديث ، وقيل: أهل الجهاد ، وقيل : النهاة عن المنكر .. وكل ذلك صواب ، وأصوب منه : أنهم كل أولئك .

وقد لخص ابن حجر قولاً جامعاً للنووي يدل على ثاقب البصر ، فقال :

(يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ، ما بين شجاع وبصير بالحرب ، وفقيه ومحدث ومفسر ، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وزاهد وعابد ، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في مكان واحد ، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد وافتراقهم في أقطار الأرض ، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد وأن يكونوا في بعض منه دون بعض) .

وتكمن عبقرية الدعوة الإسلامية المعاصرة في أنها حققت وجود هذه الطائفة في عالم الواقع بشمول بالغ المدى وسعة وفيرة العدد ، بحمد الله ، وما يزال أمرها في ظهور وازدياد، وبشائر المستقبل تترى .

فهذا الفهم الشمولي لعلامات الطائفة ووجود كل المعاني في صفة أهلها نابع من هذا المنحى النسبي الذي ندعو إليه في فهم الأمور ، ولقد قصرها البعض على أهل الحديث أو الفقهاء أو أهل الجهاد أو أهل خير آخر ، ولكن المنحى النسبي يقود إلى النظر الشمولي ، بعضه من بعض ، والإسلام حركة حضارية ، فكل من له في الديدن الحضاري مشاركة عقلية أو بدنية أو مالية فهو من هذه الطائفة ، وهو البنّاء الذي ستقر عينه بالظهور) .

من كتاب أصول الإفتاء 3/ 52

● **(إن البحث الدقيق يرينا أن تلك الصورة المتألقة للقيادي ، التي رسمها الفقهاء والفلاسفة : لم يخلق الله منها إلا أفراداً قلائل في الأمة الواسعة كل قرن ، لا طاقة لهم أن يرفأوا الفتق ، ولكن الله تعالى بحكمته وزع الأوصاف القيادية على عشرات**

أُلوف في الأمة ، فإنك لا تجد النقي الشجاع المتئد الكريم الصبور الحليم الذكي الفقيه البليغ المثابر الثائر السريع النهضة الحاضر البديهة إلا قليلا ، لكنك تجد أُلوف الأتقياء ، وأُلوف الشجعان الكرماء ، وأُلوف الأذكياء ، وأُلوف الفقهاء ، ولا يعدو أحدهم قَدْره المختصر الناقص ، فيقرن بين التقوى وضحالة العلم ، وبين الشجاعة وعي اللسان إذا تكلم ، وبين الذكاء والغضب ، والمثابرة والتهور .

هنا يأتي أُسلوب تركيب الأجزاء الصغيرة المتناثرة والشظايا المبعثرة ، كفرع عملي للأداء الدعوي الجامع ، فينضم ألف جزء من الشجاعة عبر الخطة لتكوين (كتلة شجاعة) تحتل حيّز الشجاعة في الوصف النموذجي للقيادة ، وتملؤه إلى حد الكفاية وزيادة ، وينضم ألف جزء من الذكاء عبر المراكز واللجان لتكوين (كتلة ذكاء) تحتل حيّز الذكاء في الوصف النموذجي للقيادة ، بل وتتحول إلى (عبقرية) كاسحة للعقول الفردية التي تعاكسها ، وكذا الصفات الأخرى ، وبهذا الانضمام والاجتماع تتكون (القيادة الجماعية) التي تتمثل فيها الصفات القيادية النموذجية جميعاً إذا أحسن مهندس التركيب تصاميمه وجعل طرق الالتقاء سالكة .

وكنا لا ننتبه إلى هذه الإمكانية المتاحة لتحشيد القابليات المتماثلة التخصصية في تيار واحد عاصف لأن بقية من المفاهيم الفردية كانت عالقة بنا ، جعلتنا ننتظر إنجازاً عظيماً من الفرد ، ونحلم بالقائد الفذ الذي جمع المناقب الفردية ، البارع في كل فن ، المعوض بشخصه الوحيد عن نقص الجمهرة ، حتى تحوّل هذا الوهم إلى مرض نفسي يوسوس لنا بالإحباط ، إذ وجود هذا البطل الشمولي عزيز إن لم يكن أقرب إلى المستحيل ، أو نخرج إلى خداع أنفسنا ، فنزعم أن فلاناً هو الذي استوعب وجمع وأحصى الأخلاق والمهارات ، ولعله هو نفسه أعرف بقدر نفسه وقصوره عن وصف المعجبين به ، فيرفض الوهم ، فيزداد الأتباع تعلقاً يظنونه يتواضع ، ويكرر النفي ، ويرفضون ، حتى ييأس فيستسلم ويبدأ يعتقد ما يعتقدونه من الإحاطة ومقاربة العصمة ، وما يدري أنهم بصنيعهم إنما يملأون فراغاً نفسياً يستبد بهم من حيث لا يشعرون ، **ويرون في تخيل القائد الملهم تعويضاً عاطفياً عن حالة العجز ، فيدورون في لا عقلانية ، تسلمهم إلى لا واقعية ، لأن آلة القياس ومعيار الفحص**

وقواعد فهم الحال وموازين إدراك الموقع من مسيرة الحياة كلها خطأ في خطأ ، وتعمها فوضى ، ولو حللوا مثل تحليلنا لعرفوا أن التعويل في حركة الحياة كما يكون على عاتق الأفذاذ القلائل أهل الكمال : يكون عبر تركيب شظايا الخير أيضاً وربطها وتكتيلها وإطلاقها ، فتكون جارفة لما أمامها ، فتنعطف الحياة انعطافاتها الكبرى ، فإذا كان انتظار الفلتة الخيرية القَدَرية صعباً ، فإن التكتيل الألفي أسهل وأسلم وأبقى وأمضى ، وبذلك تعود القضية القيادية قضيةً (منهجية) قبل أن تكون (تفتيشاً عن عباقرة) ، وقضية (فكر) قبل أن تكون مزاعم شاعر ومؤرخ ، ثم هي هندسة وتخطيط وتقاسم أدوار ، وتبرأ أن تكون رؤى مُغرم وإحالة اتكالي يأنف الانسحاب ، فيدّعي الحياء من أن يتقدم بين يدي كامل ، ويخترع مثاله الأعلى ويوهم نفسه بالإذعان له ، وما ثَـمّ شيء ، والمخرج إنما يكون بإفاقة التوابين ، وتوكل السائرين ، وأن ينزل كل داعية إلى الساحة العملية الدعوية الإنتاجية مهما عابته أنواع النقص ، يعرض ما يحسن ، ويهب ما يملك ، ليكون مفصلاً أو عتلة أو حتى مسماراً في الآلة الهادرة) .

من كتاب منهجية التربية / 440

● (رجال هزتهم الوقائع فانتفضوا ، فوجدوا الأمر صعباً فتوكلوا ثم اخبتوا ، فنحن نروي لهم خبر العلم مقرونا بقصص المعاناة ، وحروف مالك والشافعي وأحمد كما رواها عمالقة بين الناس يتنقلون ، أو وراء القضبان يقبعون ، أو تحت ظلال السيوف يجاهدون ، ولو أُخذ فقه الدعوة عن بارد وطامع وتارك ومترخص ومنسحب لجاء هيكلاً تنقصه الروح ، ولكنها العزائم وخطوات الساحات ولمعات البوارق تمد الفقه بالحياة والتجدّد، فيترى الإبداع) .

من كتاب أصول الإفتاء 1/ 17

● (□ والمجموعة الإسلامية العراقية المجاهدة للاحتلال الأميركي على تنوّع فصائلها ، والمجموعة القيادية الدعوية التي تُـضيف إلى الجهاد ممارسة سياسية ولها وعي تجريبي متراكم : مجموعتان تتكاملان في الأداء ، وتتوازيان في الدرب ، ولهما قلب واحد ، وعقل مشترك) .

من كتاب بوارق العراق / 8

❑ صفة الجندية الجهادية

● (**فنحن نجاهد في أرض ملغومة بغريب الطباع والأخلاق والمناورات والتطلعات الشخصية والطموحات الذاتية ، قبل أن تكون ملغومة بالديناميت ، ولذلك يلزم مجموعةَ المجاهدين فقه توثيق ، وتحليلات لنفوس المتصدين ، وتصدير أصحاب الموازين الشرعية والترتيبات الإيمانية الإخلاصية ، وتجاوز صرعى التعصبات الفئوية والجهوية والقبلية ، ورواد الشللية وأتباع الزعماء الذين يوافقون على الخطأ الواضح ولا يقولون لزعيم : أخطأت ، ونحن بحاجة إلى تقديم من يحافظ على الثوابت ، والخطط الأولى ، وأهداف التأسيس ، ولا يلين إذا طالت المعركة ويتملص من التزامات البيعة ، وباطل زعم كل ميداني يحتكر الفضل لنفسه لأنه في الخندق والمواجهة ، ويحرم الذين في الخطوط الخلفية والخارجية من الفضل وحقوق المشاركة في صنع القرار ، كمثل باطل رجال السياسة والمفاوضين الذين يبرمون الأمور دون تشاور مع مقاتل ورجل ميدان ، والإقرار بتكامل الفئتين أصل في فهم حركة الحياة .**

والقيادي عندنا هو داعية له ولع أن يقايس أمره ويقارن نفسه بالآخرين ، ويقتفي أثر السلف حين كان يقول أحدهم لصاحبه :

" هلم : أقاصك" ..

(يعني : أينا أبعد عن الشر ؟) .

فذلك هو الفخر ، **والبعد عن الشر ونوايا السوء هو أرفع التحديات ودلالات البطولة ، وهذه المسافة البعيدة هي دلالة خيرية مؤكدة وعلامة إيمانية حميدة** ، والحرام بيِّـن ، والشبهة تدركها القلوب اليقظة مهما غطتها تفلسفات ، وأوضح براهين كشفها : أن يلجأ المجاهدون إلى القول العتيق الأول القديم ، والعرف الراسخ ، وسيرة جيل التأسيس ورهط الرواد) .

• وقد كان توريث الفكر والمفاهيم والوعي يجري في سلاسة بحمد الله وما زال ، رغم هذه القبائح الغازية ، وأغلب جيل الصحوة الإسلامية الحاضرة قد اكتشف بسرعة تمهيدات الأجيال السابقة لطريقه ، وولد هذا الجيل ثرياً ، ولم تضطره الأيام إلى عصامية ، **حتى جاءت أيام الأفغان وبشاور ، فبرزت بدع التعالي والاستغناء والتنكر والتمرد والذاتية والإدلال والادعاء عند نفر أطلق الواحد منهم طلقتين وبات في العراء ليلتين ، فصار يعتقد أنه قد اجتاز القنطرة ، وأنه أرفع من الجلوس بين يدي مجرب ، وأنه قائد تام الأهلية والصفات ، وما كان كل ذلك إلا لأن هؤلاء الشباب - رغم صدق توجههم وعمران جانب الإخلاص فيهم - لم يمروا بالتسلسل التربوي الذي تتيحه الحياة الدعوية ، ولم يتدرجوا في حيازة المعاني وفق منهجية تجريبية على يد أساتذة قد علمتهم المعاناة من قبل الكثير من دروس الحياة ووضعتهم في سير موزون يزيده فقه الدعوة وإفتاء القدماء اتزاناً .**

البدعة عند نفر ، والسواد الأعظم تجمله البراءة والآداب ، لكن من شأن النشاز أن يلفت النظر إليه ، مثل نقطة سوداء في محيط أبيض ، لذلك يجب أن تحتوي منهجية التربية الدعوية مبدأ الانتساب للسلف والوفاء للأجيال المتعاقبة والتلمذة لمن سبق سنتين وعانى فأطلع ، **إذ ليست مكابدة التفاصيل اليومية لعمل الدعوة اليومي السلمي في صراعها مع الأفكار المنحرفة والجاهلية والجاهليين بأقل شأناً وأجراً ومكانة من مكابدة العدو في ساحات الجهاد) .**

من كتاب منهجية التربية الدعوية / 355

❑ سياسة الجهاد

• (ولذلك يكون من موازين تحريك الحياة : الأداء بالحُسنى ، بما لا يُـرهق ولا يُـسبب العَـنَـت .

ومنظر السّـوْط الذي يسوق الـمُتعَب لبذل أكبر مما تـتيحه طاقته : منظر قديم ، كتلك الخيل المسوقة ...

ساعٍ يُعَنِّيهِنّ بالإفراطِ
والماءُ نضّاحٌ من الآباطِ
إذا اسْتَدى : نُوِّهْنَ بالسياطِ

أي إذا سال العَرَق وحصل بعض التراخي : يبدأ السائق ينوه لهن بالسياط ويبديها لتسرع ، وقد يضربهن فعلاً .

وذلك منظر خالد من مناظر الحياة ، فرَبّ العمل يستعمله ، وقائد الجيش يطلب من جنده المعجزة ، وسَوْق صدام لشباب العراق نحو الجبهة بالسياط مشهور ، وحَشْر الرئيس بوش لأميركا في المضيق وعُنق الزجاجة أشهر ، وكان يؤذن لتقدمها المدني والعلمي أن يديم تفوقها على بقية الدول قرناً كاملاً ، لكنه استعمل الإكراه والسياط فجعل كبوتها قريبة ، وأول ما سيكون منها الانكفاء بعد الصولة ، فتسقط تحالفاتها الاستراتيجية ، وتتحرك الحياة من جديد .

● **ولكن هذا الإغراء بحصول الانكفاء الأميركي لا يعني أبداً أن الأرض ممهدة والفرصة مضمونة ، بل لا بد من استدراك خططي على صيحات الارتجال ، فإن لحظات انتصار المجاهد هي أخطر الأوقات في الحقيقة** ، لأن النشوة تعتريه ، ويبدأ يشعر أنه القوة التي لا يعجزها شيء ، فيقتحم من دون دراسة ، ويقع في الخطأ الذي وقع فيه الرئيس بوش حين ظن أن أميركا هي القوة التي لا تُقهر ، فكان وهمه سبب الهبوط .

وتصاحب صديقان في معركة ، فأبطأ أحدهما حين رأى زخم هجوم العدو ، وناور بالانسحاب ، فاتهمه صاحبه بالجُبن ، فأجاب قائلاً :

(**والله ما كنتُ جباناً ، ولكني زاولتُ مُلْكاً مؤجّلاً**) .

والمزاولة : المحاولة والمعالجة .

وهذا جواب صادق عند من يعرف هندسة المواقف ويتقن التخطيط ، **فإن الاقتحام لا يسوغ في كل حين وفي كل ظرف** ، ولكن المتقدم يدرس القوى المتنافسة ، ومعادلات الساحة ، واحتمال تناطح الآخرين حتى يتعبوا ، فيؤجل دخوله المعركة ليكون هو المستثمر الذي يملأ الفراغ الذي سيحصل ، وهذا فن

دقيق ، وينبغي أن لا ندع أهل الاستعجال يرسمون لنا المواقف ، لأن شجاعتهم قد تكون بدوية لا يسعفها حساب ، **وهناك شجاعة منهجية ذات قياس تراعي مُلكاً مؤجلاً يصير إليها إذا صبرت وكتمت الأنفاس بـُرهة ، وعلى هذه " الشجاعة المنهجية " تعتمد هندسة السيطرة على الحركة الحيوية ، لا على الغزوات البدوية**) .

من رسالة كتلة الإصلاح / 30

❑ ضرورة مواصلة الجهاد ولا يلغي إبطاء النصر أصل الوجوب

• (ومن المهمّ أن نتذكّر أنّ نزولنا إلى السّاحة ليس كنزول غيرنا من الشّلل المستعجلة ، وأنّ إقرار الخطّ الجهادي عندنا لا يعني الاقتصار على مقداره القتالي فقط ، وإنما هو خطّ متكامل ، من دعائمه التطوير التنظيمي الشّامل من خلال اللّجان ، والتخطيط السّياسي ، والسّعي التخصّصي ، والعمل من خلال المؤسّسات ، والتوعية متعدّدة الأبعاد ، والبحوث .. ولا تملك الشّلل ذلك .

وما زالت الأيّام تزيدنا قناعة بصواب طريقتنا البطيئة الّتي تعالج المعضلة معالجة شموليّة ، تنتفع من عطاء العاطفة ، لكنّها لا تجعلها متحكّمة بنا وطاغية على مفاد العقل ، وقد بدأنا نفهم الآن أسرار النّقلات الحضاريّة ولوازمها وضرورة براءتها من الفورات الهامشيّة والصّيحات المتشنّجة والاندفاعات اللاّهبة ، وأصبحنا ندرك أنّ الحضارة الإسلاميّة في جولتها الجديدة لن يبنيها غير خطوٍ موزونٍ ، وتربية خُلُقيّة وذوقيّة ، ومشاركة ثقافيّة علميّة شاملة ، وأنّ صنع الرّجال الّذين هم الرّجال حقّا هو أساس الحضارة المتين .

والهزيمة ليست تعظ بالاستسلام ، وما هي بدليل على باطلٍ في منهجنا ، فإنّ الأيّام دُوَل ، ثمّ حكمة اللّه ماضية ، والّذين يرون أنّ النّصر قد تأخّر وأبطأ عليهم أن يراجعوا حالهم ، إذ لعلّ العلّة كامنة في نقص الإيمان ، أو ضعف الاستعداد ، والنّصر ينزل يوم يشاء اللّه تعالى ، وقد يمتحن عباده ، لا يوم نشاء ، ولا يتحتم أن يكون في الآن الّذي تشير إليه معادلاتنا الحسابيّة وخطوطنا البيانيّة والإحصاءات ، إذ القدر أسرار .

وكان البعض يظنّ أنّ هذا المعنى إنّما أنشأه الفكر الإسلامي المعاصر بعدما طال الدّرب يعالج به القادة نفوس الدّعاة ، ولكنّه في الحقيقة من الواضحات في الفقه القديم ، ففي تفسير قوله تعالى : (وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً) النساء : 83 .

ذكر الفخر الرّازي أنّ أحد وجوه تفسير أهل التفسير لهذه الآية أنّ المراد بفضل اللّه ورحمته (هو نصرته تعالى ومعونته) (فبيّن تعالى أنّه لولا حصول النّصر والظّفر على سبيل التتابع لأتبعتم الشّيطان وتركتم الدّين ، إلاّ القليل منكم ، وهم أهل البصائر النّافذة والنّيات القويّة والعزائم المتمكّنة من أفاضل المؤمنين الّذين يعلمون أنّه ليس من شرط كونه حقا حصول الدّولة في الدّنيا ، فلأجل تواتر الفتح والظّفر يدلّ على كونه حقا ، ولأجل تواتر الانهزام والإنكار يدلّ على كونه باطلا ، بل الأمر في كونه حقاً وباطلاً على الدّليل) .

قال الرّازي : (وهذا أصحّ الوجوه وأقربها إلى التحقيق) .

فهذا شاهد من كلام الفقهاء الأوّلين على منهجنا في الصّبر والاستعلاء وعدم إعطاء الدّنية في الدّين ، بل الاستمرار في الجهاد ، وما النّكسات إلاّ محن يمتحننا اللّه بها ليعلم الصّابر من المستعجل) .

من كتاب أصول الإفتاء 4/ 226

❑ هي معركة عالمية لا عراقية فقط

• **(إن التنسيق العالمي ضد الجيش الأميركي بل وضد خطة العولمة الأميركية أصبح واجباً ، وليست المعركة معركة العراق فقط وإنما هي معركة البلاد التي تستهدفها السياسة الأميركية** ، سواءً بالاحتلال ، كسوريا أو إيران أو السودان أو ربما حتى بلاد أخرى ، أو ليس على أساس الاحتلال بأن تكون مُعرّضة للغزو الاقتصادي الأميركي ، أو الغزو السياسي ، بحيث تُمسخ هويتها السياسية أو الثقافية ، لذلك فالمعركة هي أكبر من معركة العراق : معركة خطة أميركية شاملة تريد أن تنفذها في العالم ، وفي العالم الإسلامي بصورة خاصة ، فكيف ندرأ عن

أنفسنا ضرر هذه الخطة التي هي متعددة الوجوه ؟ هذا عنوان صغير لواجب مستطيل منوع من أنواع الأداء الذي يجعل جميع الساحة الإسلامية متهيئة ومتحدية للوجود الأمريكي ولهذه الخطة الماكرة ، خطة العولمة والقطب الواحد) .

من كتاب بوارق العراق / 62

❑ صفة فقه الجهاد وصفة المفتي فيه

● (إن الوصية باللبث مع الوسطية ، وهجر الغلوّ : عريقة جداً ، ترقى إلى صدر الإسلام وعصر الصحابة ، وهي وصية علي بن أبي طالب ﷺ الذي كان يقول :
(عليكم بالنمط الأوسط ، الذي يرجع إليه الغالي ، ويرتفع إليه التالي) .

وفي هذا القول إشارة لطيفة قَلَّ من يدركها : تتمثل في أن النمط الأوسط يتيح ارتفاع التالي ، وليس رجوع الغالي فحسب ، وهي التفاتة تأخذ مكانها في صميم علم النفس الدعوي ، ذلك أن الغلو يوجد صورة نموذجية صعبة التحقق ، فيكون الضعيف في حالة يأس من بلوغها ، فيزهد بها ويعاف محاولة تحقيقها ، ولكن النمط الأوسط : أقرب منالاً ، وأيما نسمة إيمانية خفيفة يمكن أن تحرك عواطف الضعيف لبلوغها وتمنيه نفسه بتحصيلها ، فيتحرك ، وهكذا يكون الغلو عامل تثبيط ومنع خير ، وتكون الوسطية عامل تشجيع وحث وبث ثقة بالنفس ، وتحريك لروح المثابرة .

ومن شأن الفقيه المجتهد أن يلحظ مثل هذه الأحوال النفسية وعلاقتها بالنتيجة المرجوة من فتواه ، وأن يراعي ذلك ، فإنه يتعامل مع مجموعة من المعاني العاطفية تتردد ما بين انفتاحات التفاؤل وبسمات البشائر ، وبين تعكير الهواجس وتشكيكات الظنون وعبوس التشاؤم ، وبين الطرفين منازل ومراحل شتى ، والشيطان ينادي بالسوء ويغري بالقعود ، وليس الفقيه بمتعامل مع كتل صمّاء تتقلب ثم تبقى كما هي) .

من كتاب أصول الإفتاء 2/ 206

● (والمفتي هنا يتقاذفه شعوران : شعور الرأفة ، وبه يتلمس شكلاً من أشكال

التخفيف على المكلفين ، وشعور التربية وتحبيذ معالي الأُمور ، وبه يهدر دواعي التسهيل إذا رأى في الأمة أو المجموعة الدعوية نوع لين واسترخاء ، فيأخذ بالأشد ، وهي نفس مجموعة المشاعر المتعاكسة التي تسيطر على المفتي عندما يوازن بين العزائم والرخص ، ويحار ، ولا يدري إلى أي جانب ينحاز ، هل إلى جانب عزة الشريعة أم إلى جانب الرحمة ، ولذلك لا نستطيع إلا أن نذكر المجتهد في فقه الدعوة بالميل إلى الندب دون الإيجاب إذا وجد قرينة وسبيلا ، ثم نتركه لفراسته العامة ولعلمه بالواقع وبموقع الدعوة منه ، وقد يرى أن الرجّالة قد أبطأوا السير ، فيأمر بالركوب ، فنتابعه صُعدا ، وقد يرى أن يسقي ريحانة الحرية بدم ، فنسقي معه ، لتزهو زهرتها ، فنستنشق عبيرها بعد دهور أثخن فينا الشنق) .

من كتاب أصول الإفتاء 2/ 162

● (فالممارس لفقه الدعوة إنما هو فقيه وداعية معاً ، ولا يصلح للخوض فيه مَن ليست عنده خبرة الدعاة ولا له معاناتهم وتقلبهم بين أصناف الناس ، أو مَن لم يجرب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومَن لم يرفع الغطاء عما استتر في زوايا السياسة أو لم يصدح بحجج الإيمان في منتديات الفكر ، فإصابة القول في فقه الدعوة إنما هي حكر على مَن عانى معاناة الدعاة وذاق الأرق وأحصى نجوم الضحى وكوت قلبه اللذعات ، ولا يؤهل المترف رائد الكتب وحبيس المكتبات لشيء من ذلك إلا لماً ، كما لا يؤهل له آخر من العلماء الرسميين الذين تحركهم الطلبات ، فيظهر في التلفزيون يلوك لسانه قضايـا فقه الدعوة وهو عنها بمعزل ، ولها غير ممارس ، وكل همه أن يسب التطرف سبعين مرة ليرضي الذين انطقوه .

ففقه الدعوة صناعة دعوية محضة ليس يؤذن فيها بقولٍ لقاعدٍ أو لآخر تحركه المحركات الخارجية لا حركة قلبه الذاتية) .

من كتاب أصول الإفتاء 2/ 88

● (نقل القرافي أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال :

(تحدث للناس أقضية على قَدرِ ما أحدثوا من الفجور) .

أي يحدثوا أسباباً يقتضي الشرع فيها أُموراً لم تكن قبل ذلك لأجل عدم سببها قبل ذلك ، لا لأنها شرع متجدد) .

وفقه الدعوة سيظل نامياً وبحاجة إلى إفتاء جديد كثير .

أولاً : لأن الناس قد أحدثوا فجوراً كثيراً لم يُعرف في سالف الأيام ، ولا بد أن نتعامل مع هذا الفجور الجديد وفق مفاد الفقه .

وثانياً : لأن الحكام أحدثوا مزيد فجور وظلم فوجب علينا مزيد فقه سياسي مستند إلى منطق جزل يكشف حقوقنا ويسير بالناس نحو الحرية .

وثالثاً : لأن الحياة تعقدت كثيراً ، ونشأت أشكال جديدة من العلاقات والأعمال والتخطيطات تقتضي أن نتعامل معها بتخريج فقهي واضح .

والمظنون : أن هذه الموازين المنهجية الكثيرة هي الكفيلة بتوفير هذه الاجتهادات الكثيرة الجديدة التي نحتاجها ، وفي هذه الموازين العلاج الأوفى لقضية التطرف والجزاف في القول ، ولن يتطرف مسلم يستوعبها .

فخذها مني أُجيزك بها كما أجازني مشايخي ، وبها تكون أُستاذاً في المنهجية ، في عبارة موجزة تامة :

إن منهجية التفقه والإفتاء والاجتهاد تكون بحمل الألفاظ على أُصولها الظاهرة ، وتنزيل الوسائل منزلة الفرع التابع في الوصف لأصله ، وبالعمل بالمجمع عليه ما أمكن ، وإلا فالراجح ، والاحتراز عما ضعف وجهه ، فإنه الاحتياط ونأبى الظاهرية ، والمجازية ، ونكون عند الوسطية ونحكم بالنسبية ، ونتعرف على الواقع ، غير متتبعين للرخص ، ولا الشواذ ، ولا الحيل ، مع الهيبة من الحرام ، ونيسّر ولا نعسّر ، إلا ما كان في موعظة ، أو فيما يختاره ورعٌ لنفسه ، ونفسر ما يبلغنا عن النبي ﷺ بما هو أليق به ، فإن لم نجد فنعمل بما هو أشبه أن يكون السنّة ، وإلا فالذوق مُحَكّم ، والمروءة فاصلة ، وظواهر الحياة قرينة ، والقصص مصدر ، والإلهام منحة ، ثم السؤال الجيّد من بعدُ يُجَوِّد ، والتبويب يكشف الخفاء ، وفي الاصطلاح الناجح توضيح ، واجتهاد الأمير نافذ ، ويظل الاستنباط مسؤولية فردية وإن أنضجه الحوار وقادته الشورى) .

من كتاب أصول الإفتاء 2/ 414

❑ تأثير مناظر الحياة و رائق حركة الحياة

● (لكن كيف تكون خدمة " مناظر حركة الحياة " للفكر والوعي السياسي ؟
هذه مسألة تحتاج إلى تـبَسُّط وشرح وتأمل وضرب أمثلة .
فلننظر مثلاً إلى شاعر قديم يصف لنا منظراً جزئياً من ألوف مناظر الحياة ، وهو منظر الثور البري الذي يدافع عن نفسه ، فيطعن كلاب الصيد بقرنيه ، ويكافح لينجو ، هذه الحركات الهامشية الصغيرة من الممكن من خلال أدب الحركة الحيوية أن تتطور إلى " موقف انطباعي " في الدفاع والصولة والمعاندة والإصرار على الذود عن الحرية ، وأن يكون هناك تأثّر إنساني بهذا السلوك الفطري الحيواني ، وأن توضع النفس البشرية موضع المخاطبة التربوية ، و" نبضة النفس العزيزة " هي واحدة في حركات الحياة ، ولو أن فلماً تسجيلياً من أفلام عالم الحيوان عرض تلك الحركات فإن نزعة الذود تتأكد .
ومن الممكن أن تتراكم انطباعات مثيلة من مناظر شتى فتتكون معادلة ويولد نَسَق من المعاني له قدرة وعظية ، وعندئذ تتولى اللوحات الفنية ومقاييس علم الجمال المرئي تعضيد الأثر الأدبي ، فتتعمق الانطباعات .

● وانظر نمو المعنى وتأكده لو اقترن بمنظر الامتزاج الروحي مع السلاح ، كأن تتصاعد مشاعر رامي السهام إذا فتَل رِيشَها ونجح في جعلها تصوِّت صوتاً عند الانطلاق .
وللشاعر الكميت تخليدٌ لهذه اللحظة ، إذ يقول في وصف السهام :

هَزِجاتٍ ، إذا أُدِرْنَ على الكفّ
يُطَرِّبْنَ بالغِناء المُديرا

وذلك إذا (دوِّم ، أي فُتِل بالأصابع) .
(لأن السهم إنما يصوّت عند الإدامة إذا كان جيداً ، وصاحبه يَطْرَبُ لصوته وتأخذه له أريحيّة) .
وللقوس أيضاً تَرَنّمٌ ويسمى القوس المصوّت عند التحريك (الزَّيْزَفون) فكأن صوتها غناء وأهازيج ، فيرقص قلبُ المدير الذي أداره ، وتملكه نشوة ، وتسمو

روحه تلك اللحظات ، ويتناوش معنى العزة والشمم والكبرياء الحلال ، وهذا ما فطنت له المنهجية القديمة في التربية على معاني الحرية والشجاعة في الحرب ، **وذلك ملحظ أجدر بالمنهجية التربوية الدعوية المعاصرة أن تستعيره زمن التطبيع ، فتجعل لأفئدة الدعاة رقصاً وأريحية عند الصوت العزيز ، فتحلق النفوس في الأسماء تأبى السُفل** ، ولو أنها منعها ظرفٌ : فأولى لها أن تبعث سُنّة الرمي بالسهام وفتل ريشها ، على طريقة التمثيل والأداء المسرحي وبعث التراث ، من أجل أن تكون لشباب الصحوة ترانيم تتناغم مع غناء الأوتار .

وذلك هو سبيل إتقان التربية لمن أراد أن يذّكر أو أراد نفيرا ، وعبارة " والله زمان يا سلاحي " في النشيد المصري تعدل مجلداً في الوعظ) .

من رسالة منظومات التحريك / 10

❑ الاستعلاء النفسي عند المجاهد والسجين

•) ❑ مهارة النفس في الحوار الانطباعي مع البيئة يمنحها الاستعلاء

❑ ولو تقدمنا خطوة أخرى في هذا المضمار الذي يخبرنا باختلاف الحركات الوليدة تبعاً لاختلاف الناس في " مقادير " أخلاقهم : لأدركنا بوضوح أن أحوال " النفس " تكمن وراء ذلك ، وأنها سِرٌ عجيب ، لما فيها من حساسية بالغة ، وإرهاف ، فكأنها في منزلة قيادية ، تأمر الأعضاء فتطيع ، وكأن العقل يتبعها ولا يستقل عنها ، أو كأنها في منزلة إمارةٍ ومن حقّها الدلال والغنج .

• وهذا هو الذي يجعل " حالة النفس " هي المبتدأ ووحدة القياس عندما نريد معرفة نوع الحركة الحيوية المتوقعة التي تتولد من خلال نشوء ظروف جديدة ، فحالة النفس هي التي تسيطر على الموقف وتوحي بفرحٍ أو حزن ، وبتفوّق أو هزيمة .

فصفة السجين واحدة .. لكن سجيناً في الزمن القديم وَصَفَ نفسَه فقال :

ولي مُسْمِعانِ وزمّارةٌ

وظِلٌ مَديدٌ وحِصنٌ أمَقّ

(قال ثعلب : المسمعان : القيدان ، قـيُـدّ بهما ، والزمّارة : الساجور ، وهذا رجلٌ كان محبوساً في سجن شـيُـدّ بناؤه ، وهو مـقُيـدّ مغلول فيه) .

فهو قد أوهمك أنه في ظل مديد ، وغـِناء ، وحصن واسع ، إذ هو المحصور الأسير ، وذلك من استعلائه وفوقية نفسه الحـُرَّة .

فتفسير " النفس " للأمر هو التفسير ، وتوصيفها هو التوصيف ، ورُبّ عاشق لحياة العِـزّ هو أسعد ألف مرة عند القتل من رِعديد ناكص يلوذ بحضن زوجه) .

من رسالة ولادة الحركات / 19

● (**فهناك إذاً نبضة من نبضات حركة الحياة اسمها " نبضة السجين السياسي "** ، ليست تدفع الحياة حركياً فحسب ، وإنما تؤطر لها إطاراً وتمنحها إياه ، لتجول في داخله على بيّنة من أمرها ، وحق خَوَّله لها منطق الصعود الحضاري ، **وإذا تطور الأمر إلى " إزهاق روح السياسي "** باغتيالٍ أو شنق **فإنّ النبضة تكون انفجاراً** ، وتزداد بلاغة الصدى ، ويحال الدم إلى أن يكون فلسـفة تـامة في صعود الحر وارتكاس المجرم ، وصمود البذل وانهيار اللؤم ، فتتبدل المعادلات بأخرى ، فيها نفضة وهزّة وأذان ببدءٍ جديد يصل إلى آفاق بعيدة بسرعة يضاعفها تعجيل ، وبسكون يحترم أسماء الشهداء ويُظهر لها التبجيل ، حتى تكون سِيَرهم منهجاً يشرح أصل فكر الحرية ، ويبقى يمده بزخم العاطفة ، **فيتقد العقل بحرارة الروح ، ويتـثبت فقه الحركة بمداد الحقيقة ، وينير المجال بشعاع الجمال .**

● **وبمثل هذه الأحاسيس يكون الانتباه إلى قول الشاعر الحُر الجزائري محمد برّاح:**

" وسُجنتُ : فاجتاز الضياءُ حصاري !! " .

فالسجين الفكري لا ينفصل عن جمهوره ، لأنه لا يعطي مالاً ولا يمنح مادة ، إنما هو يُنير بفكره درب التوغل ويكشفه للناس ، لذلك **تـخترق رؤاه الجدران فتمضي سارية تهدي إلى الطريق ، ويكون قائداً وهو الحبيس**) .

من رسالة الظاهرة القيادية / 25

❑ السيطرة على الحياة : فرع السيطرة على النفس

• (**ونحن المسلمون أهل إيمان نخالف به الملحد والفيلسوف والمادي ، ونفهم أن " بداية " كل حركة في الحياة تفترق إلى نوعين : رحمانية ، وشيطانية** ، وتكون هذه البداية حاضرة ومسيطرة على الفعل حتى نهايته ، إلا أن يتوب وتتبدل نية المفسد ، وكل حديث الإيمان يفيد هذا المعنى ، ولكن تقعيده جاء على لسان عبد الله بن مسعود ﵁ ، فقال :

(لابن آدم لـمـَّتان : لمةٌ من المَلَك ، ولمةٌ من الشيطان ...

فأما لمةُ الملَك : فاتعاد بالخير ، وتصديق بالحق ، وتطييب بالنفس ...

وأما لمةُ الشيطان : فاتعاد بالشر ، وتكذيب بالحق ، وتخبيث بالنفس) .

قال شِمر : (اللمّة : الـهَمَّة والخطرة تقع في القلب) .

فهي مع أول خطرة حين تكون أوائل النية يكون الافتراق ، فتكون بركة من الله تتجلى في طيب النفس عبر تصديق حق الشرع وحلاله وحرامه ، مع تخطيط يعد بخير وينفع ، أو العكس .

وهناك في منزلة ما قبل النوايا من الخطرات وحديث النفس ونبضات القلب تكون ولادة حركات الحياة ، ويكون الامتياز وتحصل المفاضلة في أول صورها ثم تتأكد بالفعل والتنفيذ والإصرار ، ومن هنا فإن السيطرة الحيـويـة تبـدأ بسيطرة على " النفس " و " القلب " ، وهي الصنعة الإيمانية المحضة .

وهذه الحقيقة هي التي تؤهل الدعوة الإسلامية للفوز في سباق السيطرة ، لأنها الأمهر من بين فرقاء الساحة في " التربية " ، وإصلاح النفوس والتحدث إلى القلوب ، مع فكر واسع يُسند ذلك ، والآخرون يحومون حول استعمال القوة ، ويخططون لمراوغات وخداع ، وذلك ينفع وقتياً ولا يدوم ، ولكن التعامل مع " النفوس " هو المرشح للدوام ، وانظر آخر تجربة في ذلك على المدى الاستراتيجي : غزو أميركا للعراق : هو أعتى استعراض للقوة وأبرع مراوغة سياسية ، ولكن التربية النفسية الجهادية التي بذلها العمل الدعوي الإسلامي العالمي قبل وأثناء ذلك جعل أرواح

المؤمنين تحلق عالياً مع مستويات العزة ، فنهض المعتدَى عليهم إلى جهاد ، وناصرتهم جموع المسلمين ، فارتبك الصف الأميركي واختلف وأنكر على قيادته وضغط عليها يطلب الانسحاب ، وكانت " القلوب الجهادية " هي التي حسمت القضية ، ومعنى ذلك أن الصف الأميركي امتلك القوة لكن نقصته التربية لجنوده ولم يستطع إقناعهم أنهم على حق ليصبروا ويصابروا ، **ومن هذه النقطة كان خطأ تقدير بعض المسلمين أن أميركا دولة لا تُقهر وأنها بقوتها ستسحق أي جهاد ، فمالوا إلى ضرورة الاستسلام للأمر الواقع** ، وأن الجهاد خاسر ، وبذلك كان مقياسهم مادياً فقط ، ولم ينظروا إلى أحوال القلوب والنفوس) .

من رسالة أنساق النفضات / 8

● (وارتجف عمر بن عبد العزيز حين وعظه رجل من أن يوجل من يومٍ يلقى فيه اللهَ : (بلا ثقة من العمل) .. !

وهو عَمَرُ المليء اليدين بالخيرات والصالحات ، ولكنه يعلم أن لا ضمان لعمل المؤمنين إلاّ أن يتغمدهم الله برحمته وفضله وإحسانه .

❑ شعور الثقة محتكَر لفرسانٍ على ظهور الخيل .. !

❑ **إلاّ الذين يقتربون من لحظة الشهادة : فإن لهم من حق الثقة بجهادهم ما ليس لغيرهم ، وهم في منزلةٍ لا يرفض الله ما يرجون من رحمته ، ومَن كُتبت له الشهادة فإنه يعلمها ربما ، وتكون له علامات يستدل بها على أن قَدَرَه أن يستشهد** ، كالذي كان من البراء بن مالك أخو أنس ﷺ ، فإنه كان يتغنى ، فدخل عليه أنس وقال : (تتغنى بالشِعر وقد أبدَلكَ الله به القرآن ؟) .

فقال : (أتخشى عليّ أن أموت على فراشي وقد قتلتُ تسعة وتسعين نفساً من المشركين مبارزة ؟) .

فكانت تلك له قرينة أنه سيُقتل شهيداً ، ولذلك كان فرحاً جذلاً يترنم .

● وبدماء ذاك الجيل : وصل حكم المسلمين في صدر الإسلام من الصين إلى ما وراء إفريقية) .

من كتاب النفس / 221

❑ ضرورة الثقة بالمقصرين وعموم الناس وعدم تكفيرهم

● (ونتجت الشخصية المزدوجة التي صورها مصطفى عكرمة ، والتي تملك خيراً يذعن للضرورة ..

(خَبّريهم : لم أزل أحيا .. ولكن .. ؟

عاكفاً دون التفاتِ ..

مُرغَماً أقتات ذاتي ..

وحياتي .. لم تزل كل حياتي ..

رِعشةَ الطُهْرِ على جَفنِ الخطيئة ..) .

فهذا حال جمهور الناس .. وهم يقفون على مشارف الهاوية ، ويقترفون فجوراً ، ولكنْ لهم نفوسٌ لوّامة ، ويعرفون أنهم يملكون طُهرا ، فترتعش قلوبهم ، وتقعد بهم الهمم ..

● هنا وفي هذا الموطن تكون انتباهة نبلاء المؤمنين واكتشافهم أن الله خلقهم لإنقاذ مثل هؤلاء ، وإنجاز إصلاح في الأرض يلغي سطوة الفساد .

وهدفهم تعليم الضحايا الذين في الحيرة :

★ رِفعة الطُهر عن سوء الخطيئة ★

والمنهج متوفر في الآية الكريمة : (**قُلِ اللّهُ ثُـمَّ ذرْهُمْ**) .

قال الراغب الأصبهاني : (أي : اعرفه حق المعرفة ، ولم يقصد بذلك أن يقول باللسان) ، ورأى الراغب أن ذلك (أبلغ من حكمة كل حكيم) .

وإذا كان المؤمن يقولها ، فإن من واجبه أن يُلقنها لكل مرشَح أن يكون مؤمناً ممن يرتعش طهره على جفن الخطيئة ويمارس المعصية والسوء بنفسٍ واجفة تؤمن بالله وتصرعها الشهوة .

وتلك هي فحوى قصة الحياة ، وخبر تميّز الناس إلى جمهرتين ، وهو ما ورد في

مواعظ البصائر :

(الناس رجلان : رجلٌ باع نفسَه فأوبقها ، أو ابتاعها فأعتقها) .

والمعنى لأول وهلة يدور حول غفلة شهواني صار أسيراً لامرأةٍ يعشقها ، أو خمر يشربها ، فعَقَل رجله أن تسيح في ساحات المروءة والعفاف ، وبقي بدناً بلا روحٍ وقلبٍ وفؤاد .

لكن هذا من قريب يتوب ، وأما المصيبة فمصيبة مسكين فقد حريته يوم ارتبط بظالمٍ وباع نفسه بثمن بخس دراهم معدودة أو بمنصب زائل ، فأصبح يُرهبُ القريبَ والجار قبل الغريب البعيد ، وصار جزءاً من التدليس السياسي ، وشريكاً في الظلم ، وعَتَبَة لصعود وَغْد ، وحَجَراً في الجدار الفاسد ، وأكثر المصلين ينحرفون بالدين عن معناه ، فيكون منهم إلحاح في ملاحقة سكّير ، ويتركون هؤلاء الذين يغتالون الحرية ويهدمون البناء الحضاري ويبددون التراكم المعرفي ، وما أحوج أهل المساجد إلى وعي وإعادة تشكيل لموازينهم ولمنظومة القِيَم التي تُسَيرهم ، ليدركوا أن الخير لا يجري إلا على يد مؤمن ، ويخسأ صادٌّ عن الشريعة أن تصنع يده نفعاً أو تهبط عليها بركة ، وإنما الإصلاح صنعة الصالحين .

❑ أجيالٌ في رُخصةٍ .. سيستأنف النفيرُ تحريكَها ..!

❑ وأشكال السوء كثيرة ، ولذلك يجب أن تكون أشكال الاستدراك والإصلاح كثيرة بالمقابل ، وذلك ما يجعل القضية تخرج عن المقدرة الفردية ، ويوجب قيام "عمل دعوي جماعي" هو الأقدر على البذل المتنوع والأداء التخصصي المكافىء ، ففي الساحة شرود نفسي ، وانحراف قلبي ، وخطأ فكري ، وكذب إعلامي ، وخلل تنموي ، وتدليس سياسي ، وضياع لخُطة ومنهج موزون ، وإنما الأمل في جماعة مركزية تُصلح أطراف الحياة وتقود الناس بالتدرج والحكمة نحو الموزونية والإنتاج والإنصاف ، وتضع لكل عيب علاجا) .

● (وكما يلبس السائق نظارة عاكسة تعكس وَهج أضواء السيارات المقابلة له ، وينبهر بدونها فيصطدم : تلزم الواحد مِنّا مصفاة و " فلتر " في طريق الحياة ، وهو فلتر الشرع ، فيمنع عنه صغار الحوادث ، صعوداً إلى أكابرها ، فيمنع صدام الحضارات .

● والداعية يعظ نفسه بذلك ، ويعظ الآخرين ، ولكنه في الوقت نفسه ينظر نظرة واقعية إلى المجتمع ، فمعظم الناس من حوله ينطبق عليهم وصف مصطفى عكرمة في أنهم تنفضهم " رِعشة الطُهر على جفن الخطيئة " ، فهم يقارفون ، ولكن القلوب والعقول والمكونات الداخلية النفسية فيها بقايا انتباه وإيمان واعتراف وانحياز لجانب الحق والمعروف ، وما ثـَمّ غير شهوة ، والنوايا جازمة أن إذا جَدّ الجد ووصلت الأمور إلى المساس بقضايا الأمة الكبرى وبأصل الدين : فإنّ المفاصلة تحدث وهُم مع التوحيد ، ومع الشرع ، والانتساب إلى السلف مؤكد ، والانضواء تحت الراية حتمي .

وهذه نظرة في " توثيق جمهور الأمة " مهمة ، وهي قاعدة في التخطيط والعمل ، وتسندها شواهد التاريخ ، والتجربة الدعوية تخالف في ذلك من يتشدّد ويتهم الناس بسبب غفلاتهم ، بل الغفلات حالات طارئة وأمراض خفيفة ، والناس إن شاء الله ثقات ، وتكمن في القلوب الذاهلة بذور خير تنتظر النماء إذا سقاها تربوي يتودد ، أو قادها عند منعطف الحَيرة مبدع مبادر) .

من كتاب النفس / 161

❑ والمتأول أو المترخص .. ثقتان أيضاً

● (إن ما ترجحت حرمته أو كراهته وأراد فقيه أن يفتي أحداً بحِلّه بسبب ملحظ خاص يراه في ذلك الشخص أو في ظروفه : فله ذلك ، بل أن يفتي الفقيه نفسه بذلك فيترخص ويستثني نفسه إذا آنس من نفسه البعد عن الهوى ، والله رقيبه وحسيبه ، وهو تعالى يعلم المفسد من المصلح ، ولا يبارك في نية السوء ولا في مواطن جنوح الأهواء .

وبالانتباه إلى معاني هذا الميزان تـنحل عقد كثيرة في فهم اختلاف مواقف

الدعاة ، وما كان يُدرى مَن المصيب منهم ومَن المخطئ ، في الحين الذي يمكن أن يكون منحى الورع هو الذي سبّب التغاير ، فإن من النفوس الدعوية نفوس تحلق عالياً وقد خرجت من قلوبها هواجس الخوف والطمع والمبالاة بمتاع الدنيا ، ولذلك تعشق اختيار الاحتياط وكمال العفاف والبراءة من جميع الاحتمالات فتركب المصاعب وتصبر على الشظف والنسك الصلب ، وتقتحم على الظلمة وأصحاب المفاسد ، وتكون مستعدة دوماً لموت أو نفي بعيد ، ومع أهل اليمين وهجرٍ لشراذم الشمال ، في إخباتٍ يقارن أوطأ السجود ، ورنوٍ إلى الجنان في العوالي ، وهي أحوال تتطلب قوة قلبٍ ورباطة جأش ، ولهم ارتكاب ذلك واقترافه ، وهم في خِيَرة من أمرهم ، وعلى صواب ... ولكن نفوساً أُخرى لا تستطيع مجاراة هذا النمط ، وقد خلقها الله تعالى أقل همة ، أو أحاطها بظروف صعبة وابتلاها بكثرة أولاد أو ديون أو أمراض أو طول رضوخ للمتاعب فتأخذ بالرخصة في مواطنها ، وتتأول بلا تكلّف أو تملّص ، وهي على صواب ربما ، ولها ذلك إن شاء الله ، فإن الأولين طلبوا الكمال ، وهؤلاء لاذوا بأدنى الشرع ، وليس في ذلك بأس ما داموا قد ابتعدوا عن الجنوح إلى الحرام والشبهات الواضحة ، وما يزال أسلوب الشرع واضحاً معروفاً في إيجاب الواجب ، ثم في وصف درجة كماله بالتكثير والإنماء ، فالطاعة الواحدة لها درجات متصاعدة ، بل ليس لأخلاق الإيمان سقف يحدّ سموها ، ويظل الصادق في الكلمة الواحدة يستكثر من الصدق قولاً وعملاً حتى يثري فيكون صدّيقا ، والصدق مثال تقاس عليه كل خصلة خير أُخرى ، ومَن تأمّل ذلك : عَرَف اختلاف مواقف الدعاة واعتقد صوابهم جميعا ، وعرف كذلك اختلاف الموقف الجماعي للدعوة في قطر عن قطر آخر ، وأن منقبة الدعوة الكبرى تكمن في حشر جمهور الدعاة ومؤيديهم وأنصارهم على صعيد التوحيد والولاء للإسلام والانتظام في صفوف الصلاة وتجديد صور الإيمان ومكارم الأخلاق وإحياء العلم الشرعي وتطويره ، وأما الموقف الواحد فما هم له بضامنين ، لأنهم ليسوا له بمستطيعين ، بسبب نفس حيثيات هذا الميزان) .

من كتاب أصول الإفتاء 2/ 340

• (**وفي سياق منهجية التعامل مع النص : استنبطت قاعدة بحمد الله أُوجزها : بوجوب حسن الظن بالنبي ﷺ وبنبلاء المسلمين ، وأن نحمل كلامه وكلامهم على أحسن محامله وأجمل وجوهه ، والتأول لهم ، وتنزيلهم منازل الاحترام والهيبة ، وصون أعراضهم من كل ظن سيئ إذا أُلقيت الشبهات واختلفت الروايات أو حاكت في النفوس المعاني الدون .**

وأصل هذا الميزان المهم : ما في مسند أحمد بأسانيد صحيحة عن علي رضي الله عنه أنه قال:

(إذا حُدثتم عن رسول الله ﷺ حديثاً : فظُنوا به الذي هو أهيا ، والذي هو أهدى ، والذي هو أتقى) .

أي الذي هو أوفق به من غيره وأهدى وأليق بكمال هداه وأنسب بكمال تقواه ، كما قال الشُراح .

وعندي أن هذا الأدب العَلَوي الراشد الذي عبر عنه بهذه العبارة الموجزة هو أصل في تقرير وجوب أحدى الطبائع المهمة للاجتهاد الدعوي ، طبيعة تفسير كلام رسول الله ﷺ بالحسنى ، وعلى ظاهره دون تكلف ، وظن المعنى السوي فيه ، المتبادر إلى الذهن المنقدح في الفؤاد ، الموافق لسمت الاعتدال والذي يسبق إلى رُوع المسلم على البديهة ، وجعل هذا المعنى المحسوس في القلب قرينة لاطّراح أي تفسير شاذ ، واتخاذه إرشاداً يقود فراسة المتفقه المجتهد إلى اختيار وترجيح قول من الأقوال المختلفة يفتي به نفسه وإخوانه الدعاة حتى ولو امتنع عليه إيراد تعليل ظاهر أو ذكر سبب جاهر .

ويطّرد هذا الأسلوب ليكون أيضاً قاعدة في التعامل مع كلام الفقهاء وسادات المسلمين ، فإن صفات الإيمان وخصال الخير متوارثة ، ثم هم ورثة الأنبياء ، وبقدر من الله تعالى صاروا في المكان الذي هم فيه من الانتساب إلى النبي ﷺ ، والترويج لعلومه ، وعلامة التمييز والفرقان في ذلك : محبة المسلمين لهم ، فإنها من المحبة التي أمر الله ملائكته أن ينادوا بها في الناس ، وبها صاروا من آل النبي ﷺ مجازا ، وانبغى لهم الشرف ، فوجبت لهم المودة ، ولزم تفسير ما يُنسب لهم من قول أو عمل بالذي هو أهدى وأتقى ، **وقادة الدعوة يحتلون نفس هذه المنزلة ، وفي**

التأول لهم مندوحة ، وحسن الظن بهم أليق بنا وأجدر أن يسبق الشك والتخطئة ، وبخاصة أنهم قد خرجوا إلى ساحة التعامل مع جميع طبقات الناس ومعاناة إصلاحهم ، من الحاكم إلى الملأ الذين من حوله إلى عامة المحكومين ، ويقابلون ملكاً ورئيساً ووزيراً وعسكرياً وسفيراً وصحفيا ، والتعامل مع هذه العناصر المتنوعة في الأرض الملغومة يحتاج تورية ومداراة وإيجازاً ودفاعاً وسرعة جواب ، وليس متاحاً في كل وقت ومقام القول الصريح المشروح المعلل ، ولا الهجوم والمجابهة ، وقد يؤخذ بالرفق ما لا يؤخذ بالعنف ، فيجتهد الداعية آنياً أن يقول ويفعل ما يظن أنه الأقرب إلى تحقيق المصلحة ، فيصيب ويخطئ ، أو يظن الغائب الذي لم يشهد الظرف أنه أخطأ ، فهنا تنفع هذه القاعدة ، وأن نظن الذي هو أهدى ، فإنه داعية مصلح يأمر بالمعروف ، وليس هو بفرد سائب منتفع وصولي ، والذي نريد منه أن يبرأ من الغلط تماماً علينا أن نحبسه بين جدران أربعة لا يَرى ولا يُرى ، وأما الذي يقارع ويأمر وينهى فإنه يَرمي ويُرمى ، ويتقدم وينسحب ، وينطق بعدة لهجات ولغات ونبرات ، بحسب فصاحة السامع وأعجميته ، فقد تفهمه لأول وهلة ، وقد تحتاج قاموس أُصول الاجتهاد لتدرك مغزاه ، وبين لغة طيء وبُجيلة تباين وفروق ، واللغة العلوية القرشية هي القاضي الحَكم ، فأربأ بنفسك أن تلغو مع متكئ على أريكة يلقي القول على عواهنه ويبخس الناسَ أشياءهم) .

من كتاب أصول الإفتاء 2/ 32

★